جامعة عبد الرحمان ميرة بجاية
كليـــــــة الأدب واللغات
قسم اللغة العربية وآدابها

الشعر الشعبي الجزائـــــــــري
ماستر 1 تخصص: أدب جزائري
الدكتور: : سالم بن لباد.

المحاضرة الخامسة:

الشعر الشعبي إبان الفترة الاستعمارية:

لا يشذ العهد الفرنسي عن العهد التركي من حيث الاهتمام بالشعر الشعبي و نظم القصائد في شتى الأغراض و الموضوعات التي عرفت في العهد التركي وهذا راجع لاتصال الفترتين تاريخيا ، و تسجيل ظهور موضوعات أخرى مستجدة أو انبعاث و توهج بعض الأغراض التي يتفاعل بها الشاعر مع أحداث هذا العصر ، خاصة «و أنه عهد الظلم و الطغيان. وعهد الاقطاع والاستبداد والقلق والاضطراب»[1]، ما يدفع الشعراء إلى مواصلة نضالهم بالكلمة، من خلال تصوير «ملامح فترة الاحتلال الفرنسي بطريقة توضح جوانب الحياة السياسية، والاقتصادية والاجتماعية التي تعرضت إلى محاولات استعمارية مقصودة، تستهدف طمس معالم الثقافة المحلية، واحلال ثقافة أجنبية محلها بغية عزل الشعب الجزائري عن تراثه الثقافي العربي»[2]. ومن بين الشعراء الذين عرفوا في هذه الفترة نذكر:

1 – الشاعر مصطفى بن ابراهيم :

وهو شاعر منطقة وهران ، وعرف عنه أنه كان ينظم الشعر في الأغراض و الموضوعات المتنوعة، وخاصة الموضوعات الغزلية و الخمريات، رغم انتمائه إلى قبائل بني عامر المعروفة بالحس الوطني،

1-العربي دحو، الشعر الشعبي ودوره في الثورة الحريرية الكبرى بمنطقة الأوراس، ج1، المؤسسة الوطنية الكتاب، الجزائر،1989م، ص52.

2- التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة(1830م-1945م)، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1983م، ص97.

ورغم أنه شاهد بشاعة الاستعمار وكان هو نفسه ضحية هذا الاستعمار الذي أبعده ونفاه إلى مدينة فاس المغربية، ولد ببو جبهة (بلدية مكرة المختلطة) سنة 1800م، ينتسب إلى أحرار آفلو، ويعتبر من فحول الشعر الشعبي في الجزائر، شاع شعره بين الناس، كما ترجم إلى اللغة الأجنبية، وتغنى بقصائده مطربون جزائريون أمثال أحمد وهبي وغيره...له عدة قصائد قد يصل عددها حوالي 150 قصيدة نذكر منها: قصيدة(قلبي تفكر لوطان) و(وطني وطني يا ناري) و(ماذا من جبال)[3] وقصيدة (الورشان) التي حاور فيها الشاعر المنفي القمري يقول في مطلعها:

أنت عند حماميك زاهي تنقمـــر ما دركك مازار قلبي يا ورشان

حبك ربي راك في الحيطان عاشر مـــا تحمل هم و لاعيشة الأغبان

قلبك هاني يـــا النيلي مـــا تغير ليس خبل خاطرك من هو شيطان

تلعب في لسطاح و أنتـــــيا متبختر من ذا الحيط لذا تخفق بالجنحان[4]

توفي الشيخ مصطفى بن براهيم حوالي سنة 1870م.

2 – محمد بلخير (1835 - 1905):

وهو من عرش الرزيقات ، وهو بطن من بطون أغواط أكسال وهي فرع من قبيلة بني هلال، وذا الشاعر ينتمي إلى الحيز الثقافي الشفاهي المدون أولا في الذاكرة الجماعية ، فهو شاعر الجماعة البدوية المعبرة عن الحب المتحرر من القيود الاجتماعية لكنه تميز أكثر بكونه شاعر القيم الحربية والجهاد، فكثيرا ما كان يرد بأشعاره الحماية على فرنسا التي كانت تعتبر المقاومين كخارجين عن القانون وباعتباره معاصرا لثورة الشيخ بوعمامة، فقد نظم عدة قصائد في ذكر خصال هذا الشيخ

3-أنظر:شقرون غوتي، الأغنية البدوية الثورية بين فترتي الثورة والاستقلال (1954م-1962م) بمنطقة وادي الشولي –نموذجا- جمع ودراسة، مخطوط رسالة ماجستير،جامعة أبي بكر بلقايد تلمسان،2005م، ص314.

4-المرجع السابق، ص551.

المقاوم وذكر مقاومته الباسلة للاستعمار الفرنسي حتى أنه لقب بشاعر الشيخ بوعمامة . ومن بين القصائد التي تغنى فيها بالشيخ قصيدته (يا الفارس حشمتك) يقول في مستهلها:

يا الفارس حشمتك عيد الأخبار واش حال القرمامي* رايس القوم

كانك من عند السلطـــان بشار الشيخ تبنى و الا مازال مهـــدوم[5]

إلى أن يقول:

بوعمامة ذرية حبيب الأنصـــار بـــــوه بين اكتاف النـــبي المعصوم

بوعمامة يعطي تسبيح الأذكار بـــــوعمامة سره في الناس معلوم[6]

3 – محمد بن قيطون(1844 - 1907):

«هو الشاعر الشعبي محمد بن الصغير بن قيطون، الأيوبي البوزيدي نسبا»[7]، من مواليد واحة سيدي خالد ببسكرة ،عاصر شاعرين كبيرين هما الشيخ بن يوسف و الشاعر الجوال الشيخ السماتي ، وقد عرف بن قيطون و بن يوسف بالنقائض ، حيث كان ينظم أحدهما قصيدة من وزن خاص وقافية خاصة ليأتي الثاني فينقضها بأخرى من نفس الوزن و القافية، كما يعارض معاني خصمه و يرد عليها، و قد قامت هذه النقائض على التعصب القبلي و الفكاهة بغرض تسلية الناس في الأسواق ، إلا أن هذه النقائض ضاعت و تناساها الرواة و عدلوا عن روايتها.

---

*القرمامي: هو سيد الشيخ، وله تسميات أخرى منها: زين القباب، مولى القباب السبعة،رحل البيضا، مولى الشبهة، مولى الفرعة...

5- العربي بن عاشور، أشعار محمد بلخير شاعر الشيخ بوعمامة وبطل المقاومة، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص149.

6-المصدر السابق، ص151.

7- أحمد عاشور، ديوان الشاعر محمد بن قيطون، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص26.

لكن هذا الشاعر عرف أكثر بمرثياته خاصة قصيدة (حيزية) «التي تحكي قصة بوعكاز حيزية بنت أحمد بن الباي من عرش الذواودة بطن من بطون بني هلال...وعلاقتها بإبن عمها سعيد»[8]، يقول في مطلعها:

عـــــزوني يـــا ملاح في رايس لبنات

سكنت تحت اللحود ناري مقـــديـــا

يـــا خيي أنـــا ضرير بيـــا مـــا بيـــا

قلبي سافـــــر مـــع الضامر حيزيـــه[9]

كما نظم في عدة أغراض شعرية كالمدح، والذي «نظم فيه أجمل وأطول قصائده؛ من مثل(بسم الله غنيت ذا النشدة)،(فرخ الحمام يا طيار)،(من طيبة)، وغيرها من القصائد، حتى أنه لقب نفسه بشاعر الرسول»[10].

لقد ساير الشعراء الشعبيون مراحل الثورة التحريرية ، فقد ظهرت عدة قصائد مسايرة للانتفاضات و الثورات ، وتميزت بمزجها بين السياسة و الدين، حيث لعب «الشاعر الشعبي دورا هاما في الثورات الجزائرية على اختلاف مراحلها فكان شاعر نضال، ورفيق سلاح وحامل رسالة، يستمد شعره من عاطفة دينية قوية»[11]، وهذا إما هجوما على المحتلين والكفار أو هجاء لهم وإما من النوع الذي يسجل أحداثا سياسية ، كما قام الشاعر الشعبي بدور بارز في مجال الإعلام

8-توفيق ومان، أنطولوجيا (صوت المكنون في الشعر الملحون)، منشورات المكتبة الوطنية الجزائرية، الجزائر، 2007 م، ص ص 12-13.

9-أحمد عاشور، ديوان الشاعر محمد بن قيطون، دار الشروق للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2008م، ص41.

10- المصدر نفسه، ص32.

11- التلي بن الشيخ، دور الشعر الشعبي الجزائري في الثورة(1830م-1945م)، ص98.

والتبليغ، فكان ينظم القصيدة و يتغنى بها في كل ميدان المعركة، أو ينشدها وهو يتجول في القرى و الأسواق حيث يتلقاها الرواة و الحفظة ، فكان«يصور احساس مواطنيه، فيذكرهم بأحداث الماضي ليدفعهم إلى الجهاد والتضحية من أجل تحقيق الحياة الكريمة»[12]. وبالتالي فقد كان يصوغ أحداث الثورة ومعاركها الضارية شعرا ونشيدا لهدف زرع الحماس في أوساط الأفراد، ليتمكن الشعراء بذلك من تصوير و تخليد ما كان يجري من أحداث في الوطن مساهمين في ذلك بتسجيل أحد أهم الحقب التاريخية التي مرت بها الجزائر.

12- المرجع السابق، ص99.